

الفصل السابع

الدور التربوي لجماعة الرفاق في مجال الوقاية من الجريمة من منظور إسلامي

- تمهيد .
- المبادئ الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها الصحبة بين جماعة الرفاق .
- أولاً: البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين .
- ثانياً: أن يكون الحب بين الصديقين حباً فو الله .
- ثالثاً: ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفة سطحية .
- رابعاً: قيام الصداقة على التضام .
- خامساً: النهي عن الهجر والخصام .
- سادساً: التعاون على فعل الخير والبعد عما حرم الله .
- صفات الصديق الصالح الذي لا يدعو إلى انحراف .
- كيفية تحقيق الدور الإسلامي لجماعة الرفاق على أرض الواقع .

دور بعض مؤسسات التربية في الوقاية من الجريمة من منظور إسلامي

الدور التربوي لجماعة الرفاق في مجال الوقاية من الجريمة

من منظور إسلامي

تمهيد:

تعتبر جماعة الرفاق من أشد الجماعات تأثيراً على الشخصية، وقد تكون جماعة الرفاق متصلة مع الإطار العام للمجتمع، وقد تكون منحرفة عنه، وقد تلمب هذه الجماعات في فترات معينة من حياة الفرد دوراً أكثر أهمية من دور الأسرة. واختيار الصديق يمكن أن يخلق الشخص أو يقضي عليه.^(١)

فإذا كان الصديق صالحاً تقياً تافعاً ومؤثراً في مجتمعه أثر في صديقه تأثيراً إيجابياً، ونقل إليه بعضاً من هذه الصفات، وإذا كان الصديق منحرفاً أو مجرمًا كان تأثيره سلباً في شخصية صديقه، وزين له طرق الجريمة والانحراف.

وقد أوضحت نتائج بعض الدراسات الأثر المسى للصديق المنحرف على سلوك من يصاحب، فقد وجد "جيلوك" أن من بين ٥٠٠ طفل جناح الذين قام بدراساتهم - أن ٤٩٢ منهم يمثلون نسبة ٩٨,٤% لم ينحرفوا بمفردهم، وإنما انحرفوا بمساعدة آخرين من الرفاق المنحرفين.^(٢)

وقد ذكر الدكتور "أنور الشرفاوي" في رفاق السوء ما يلي:^(٣) "تمثل عصابة الرفاق وجماعات النواصي أجنةً تتطور إلى عصابات، وهي من أهم الوحدات الدراسية في بحوث الجريمة، وتتألف الجماعة أو العصابة من صبية يلتمون في تجمعهم وزمانتهم عوضاً عن إهمال الوسط العائلي، وقسوة الفقر، والإهمال الشديد، أو القسوة الزائدة في المعاملة. وفي الوقت نفسه فإن الثلة أو العصابة التي تمثل بالنسبة لهم قوةً ومنعةً، تشجع حاجاتهم إلى الأمن وتأكيد الذات كما يشعرون بأن كلاً منهم مرتبط بالآخرين، وفي مغامراتهم يحقق الفرد منهم فرصة الشعور بقوة الأنا، والذي يساعد الأنا الجماعي للعصابة".

وعليه فجماعة الرفاق التي تمثل إحدى مؤسسات التربية غير الرسمية يمكن أن تصبح منبعاً للجريمة والانحراف، وذلك إذا ضلَّ أفرادها وتحولت أهدافها من المساهمة في التربية إلى

(١) د. صلاح عبد المتعال، التعبير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) د. محمد سلامة غباري، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٣) د. أنور محمد الشرفاوي، انحراف الأحداث، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

احتضان الجائحين وتفريخ المجرمين. وهذا ما أشار إليه الباحث في الفصل الثاني من هذه الدراسة حيث تبين أن رفاق السوء يمثلون أحد الأسباب المؤدية إلى الجريمة.

والسؤال الذي يسعى الباحث للإجابة عليه في الصفحات التالية هو:

ما الدور الإسلامي الذي يمكن أن تقوم به جماعة الرفاق في مجال الوقاية من الجريمة؟

وفي سبيل الإجابة على هذا السؤال، يُبرز الباحث مجموعة من المبادئ الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها الصحة بين مجموعة أفراد من المسلمين، بحيث يشكلون جماعة رفاق تنأى بأعضائها عن مجال الانحراف والجريمة.

أولاً: البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين:

يجذر الإسلام المسلمين من رفاق السوء، ويدعوهم إلى الابتعاد عنهم، والنفور منهم، وذلك لما لهُؤلاء من خطرٍ على أخلاقيات وسلوكيات الفرد المسلم، فمصاحبة هؤلاء قد تؤدي بالفرد إلى الاتداء بهم، وتقليد سلوكياتهم، وقد يقودونه إلى الانحراف وارتكاب الجرائم، وإذا كان الكفر أكبر الجرائم من وجهة النظر الإسلامية، فإن رفيق السوء قد يغري رفيقه بالكفر، وعدم الإيمان.

وقد حكى القرآن الكريم قصة الصديقين اللذين كان أحدهما مؤمناً والآخر كافرًا، ومحاولة الصديق الكافر الإيقاع بصديقه المؤمن في دائرة الكفر. فقد قال الله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدْبُونُ﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مَطْلُوعُونَ ﴿طَائِلَعٌ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفوات: ٥١-٥٧] •

وجاء في تفسير هذه الآيات أن القرين هنا هو الصديق المشرك، فقد قال "العوفي" عن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل المشرك يكون له صاحبٌ من أهل الإيمان في الدنيا، ومعنى قوله تعالى: (إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ) أي كدت لتهلكني لو اطعك. (١)

وقال الله تعالى أيضاً في شأن قوراء السوء: ﴿وَلَقَيْتُمَا لَهُمْ فُورًا فَرْتَبُوا لَهُمْ مَاءً يَنُّونَ﴾ وَمَا خَلَقْتُهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿[فصلت: ٢٥] •

(١) الإمام/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٨.

وجاء في تفسر هذه الآية أن المقصود بالقرناء هنا هم شياطين الإنس والجنس الذين حسوا لهم أعمالهم فلم يروا أنفسهم إلا محسنيين.^(١)

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصَى الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلَانًا يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩) .

فالخليل في هذه الآية هو صديق السوء الذي صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة.^(٢)

يتضح من الآيات السابقة تحذير الإسلام من رفاق السوء، وبني هذا التحذير على أساس أن رفيق السوء يحض دائماً على فعل الآثام والذنوب ويزين هذه الأفعال إلى نفس صديقه حتى يراها حسنة، فيدعوه إلى شرب الخمر، ويدعوه إلى الزنا... إلى غير ذلك من الجرائم، وعليه فإن الإسلام يحذر من رفيق السوء لأنه لا يدعو إلا إلى ضلالة.

ورفاق السوء صداقتهم زائفة ليست مبنية على حب حقيقي، أو رباط قوي، لذلك تغلب صداقتهم إلى عداوة يوم القيامة، فيلعن كل منهم صاحبه، فقد قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

فمن علي رضي الله عنه قال^(٣): "خيلان مؤمنان وخيلان كافرين فتوي أحد المؤمنين وبُشِّرَ بالجنة فذكر خيله فقال: اللهم إن فلاناً خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بطاعتك وينهاني عن الشر، ويُبشِّرني أني ملائكتك، اللهم فلا تضلني بعدي حتى تريبه مثل ما أريبني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما له عندي لضحك كثيراً، ولبكت قليلاً. قال ثم يموت الآخر فجمع أرواحهما فيقال ليشن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل.

وإذا مات أحد الكافرين وبُشِّرَ بالنار، ذكر خيله فيقول: اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملائكتك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريبه مثل ما أريبني وتسخط عليه كما سخطت علي، قال فيموت

(١) المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٣١٧.

(٣) المرجع السابق، الجزء الرابع، ص ١٣٣ : ١٣٤.

الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال لئن كل واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول كل واحدٍ منهما لصاحبه بنس الأخ، وبنس الصاحب، وبنس الخليل".

ويشير إلى مدى تأثير الصديق في صديقه ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الرجاء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال".^(١)

وهي دعوة واضحة من رسول الله ﷺ إلى ضرورة اختيار الصديق الصالح الذي لا يدعوا صاحبه إلا إلى الخير.

وأكد هذا المعنى أيضاً ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي".^(٢)

وقد شبه رسول الله ﷺ الجلوس الصالح بحامل المك والجلوس السوء بنافخ الكبر فقال ﷺ: "إنما مثل الجلوس الصالح والجلوس السوء كحامل المك ونافخ الكبر، فحامل المك إما أن يُحذيك، وإما أن تتاع منه، وإما أن تجد منه رجماً طيباً، ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد رجماً خبيثاً".^(٣)

وفي الحديث السابق إشارة إلى أن الجلوس الصالح نافع لجليسه في كل الأمور، وأن الجلوس السوء ضار بجليسه في كل الأمور، مما يدل على ضرورة مصاحبة الصالحين، والبعد عن رفاق السوء.

وقد ذكر الإمام الغزالي في الرفاق ما يلي:^(٤) "قال عيسى عليه السلام: تحيوا إلى الله بغض أهل المعاصي، وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم، والتصوّوا رضا الله بخطهم، قالوا يا روح الله، فمن تجالس؟ قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله.

وروي في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام، يا ابن عمران، كن يقظاناً، وارتند لنفسك إخواناً، وكل خدنٍ وصاحبٍ لا يؤازرك على مسرتي، فهو لك عدو. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، فقال: يا داوود، ما لي أراك متبذراً وحيداً،

(١) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء السادس عشر، ص ١٧.

(٤) الإمام/ الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، المجلد الثاني، الجزء الخامس، ص ١٤٥.

قال: إني قلت لخلق من أجلك. فقال ياداد كن يقظاً وارقد نفسك أحياناً، وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسي لباك ويباعدك عني".

ثانياً: أن يكون الحب بين الصديقين حباً في الله:

روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث يوضح بعضها ضرورة التحاب في الله، ويوضح بعضها الآخر مودة المتحابين في الله عند الله تعالى، ومن هذه الأحاديث ما يلي:

• قال رسول الله ﷺ "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يجه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار".^(١)

• قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".^(٢)

• قال رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ينجبهم النيون والشهداء".^(٣)

وترسي الأحاديث السابقة أساساً هاماً من الأسس التي تقوم عليها الصداقة في الإسلام، وهو مبدأ الحب في الله، ومعنى هذا أن يحب الصديق صديقه حباً خالصاً بعيداً عن تحقيق المصالح، والنفعية، فالصديق الذي يحب صديقه طمعاً فيما عنده من منصب أو مال، أو حاجة له عنده، تستمر صداقته له باستمرار المنصب والمال، وقدرته على قضاء المصالح، فإذا فقد الرجل هذه الأشياء تخلى عنه صديقه، وتحول بصداقته إلى آخر ممن يتمنون بالمال والسلطان.

أما الصديق الذي يحب صديقه في الله فلا يفرق بينهما عرضاً من أعراض الدنيا، وحتى إن اترقا فبفترقان على أمر يرضي الله ورسوله، فقد قال رسول الله ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..... ورجلان تحابا في الله اجتماعاً على ذلك وتفرقاً".^(٤)

(١) الإمام/ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء الأول، ص ٩١.
(٢) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء السادس عشر، ص ١٢٣.

(٣) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥.

وإذا قامت الصداقة على هذا التحاب في الله فلا يمكن أن تكون منبعاً من منابع الجريمة في المجتمع، فالصديق الذي يحب صديقه في الله لن يدعوه إلى شر، أو إجرام، أو انحراف أبداً، لأنه يعلم أنه حتى يكمل إيمانه لا بد أن يحب لأخيه ما يجب لنفسه عملاً بقوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".^(١)

ثالثاً: ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفة سطحية:

إذا أراد الفرد أن يتخذ صديقاً أو خليلاً، فلا بد أن يعرف معلومات كافية عن هذا الصديق، بحيث يطمئن إليه، ويعلم أخلاقياته وسلوكياته، ويتأكد تمام التأكد من أن هذا الصديق لن يدعوه إلى شر أبداً.

وقد قال رسول الله ﷺ: "إذا آخا الرجل الرجل فليأله عن اسمه واسم أبيه، وعن هو؟ فإنه أوفى للمودة".^(٢)

فلا ينبغي أن يتخذ الفرد رفيقاً أو صديقاً وهو يجهل عنه الشيء الكثير، ثم يكتشف أن هذا الصديق عضو في عصابة ما، وأنه يحاول اجتذابه لجمال الانحراف والجريمة. وعلى الأسرة إذا كان الابن صغيراً أن تتولى هي مسئولية معرفة أصدقاء الابن؛ فعلى الأب والأم أن يسألا الطفل عن أصدقائه من هم، ثم يحاولوا التعرف على حقيقة هؤلاء، حتى يطمئن أن ابنتهما بعيدة عن رفاق السوء.

رابعاً: قيام الصداقة على التناصح:

لعلى الصديق أن يقدم النصيحة لصديقه وأن يكون فيها مخلصاً لا يبغى إلا الخير، ودفع الشر عن صديقه، وقد أرسى رسول الله ﷺ مبدأ التناصح بقوله: "الدين النصيحة".^(٣)

وعن جرير بن عبد الله قال: "هاهنت رسول الله ﷺ على: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم".^(٤)

فعلى الصديق المسلم أن يقدم النصيحة والمشورة والرأي لصديقه، فإذا رأى صديقه مقدماً على أمر حرمه الله، فعليه أن ينهاه عن ذلك، ويدعوه إلى البعد عن كل انحراف أو

(١) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٣) الإمام مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٧.

(٤) الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء العاشر، ص ١٦٦.

إجرام، وأن يدلّه على الخير، وحسه في ذلك أن الدال على الخير كفاعله، فقد قال رسول الله ﷺ: "الدال على الخير كفاعله"^(١) ولا بد وأن يكون الصديق أميناً في مشورته فقد قال رسول الله ﷺ: "المشار مؤمن"^(٢).

وقد حَفَّز رسول الله ﷺ الناس على دعوة إخواتهم إلى الخير فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً" رواه مسلم^(٣).

وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم لم يكن أحد منهم يتهى أحداً عن ارتكاب الآثام والذنوب، فقال تعالى: ﴿لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ كانوا لا يتأهون عن منكر فقلوه لئس ما كانوا يفعلون ﴿[المائدة: ٧٨-٧٩].

وقد قال رسول الله ﷺ: "لينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً؛ إن كان ظالماً فلينه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فليصره"^(٤).

فالصديق المسلم يتخذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلاً لإبعاد صاحبه عن الانحراف والجريمة، وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث منها ما يلي:

- قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم" رواه الترمذي.^(٥)
- قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسه، فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان"^(٦).

خامساً: النهي عن الهجر والخصام:

فهي الإسلام عن الهجر والخصام، وعن التباغض والتشاحن، وذلك حتى لا يموذ الشقاق والفرقة بين أفراد المجتمع المسلم. فالإسلام يريد رفاقاً ذوي قلوب صافية لا يكن أحدهم لأخيه غلاً ولا حقاً.

(١) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ١٤٧.

(٢) الإمام/ أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٣٣٣.

(٣) الإمام/ النووي، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٤٢٠.

(٤) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٣٨.

(٥) الإمام/ النووي، رياض الصالحين، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٦) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٢٥:٢٤.

- وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث يدعو فيها إلى عدم التشاحن والتباغض والهجر والحصام، ومن هذه الأحاديث ما يلي:
- قال رسول الله ﷺ: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" (١).
 - قال رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" (٢).
 - قال رسول الله ﷺ: "تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء، فيقال أتركوا هذين حتى يفينا" (٣).
 - قال رسول الله ﷺ: "ياكم وسوء ذات البين فإنها الخالقة" (٤).
- وسوء ذات البين هنا هي العداوة والبغضاء، والخالقة أي التي تخلق الدين أي تذهب به أو تنقص منه.

ويتضح من الأحاديث السابقة مدى حرص الإسلام على إصلاح ذات البين، وتطهير القلوب من الأحقاد والضغائن، وإذا كان هذا الترجيح الإسلامي إلى المسلمين عامة فهو من باب أولى إلى الرفاق الذين تربط بينهم صداقات وعلاقات حميمة.

ولعل الحكمة من دعوة الإسلام هذه إلى نبذ التشاحن والحصام تكمن في أن الحصام يوغر الصور، ويورث الحقد والكراهية، وكثير ما دفع الحقد والكراهية بعض الأصدقاء إلى الغدر بأصدقائهم، فمن الأصدقاء من يغتاب صديقه، ويذكر مساوئه أمام الآخرين، ومنهم من يشي به إلى رؤسائه في العمل، إلى غير ذلك من النتائج المترتبة على خصام الصديقين.

وإذا غدر الصديق يكون أعظم من خطر العدو، ذلك لأن الصديق يعلم عن صديقه ما لا يعلمه عدوه، ولعل هذا ما دفع الإسكندر الأكبر إلى القول: "اللهم فني شر أصدقائي، أما أعدائي فأنا كفيل بهم" (٥).

(١) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٢) الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، الجزء (١٥)، ص ٥٠٧.

(٣) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٢٣.

(٤) الإمام/ الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، الجزء الرابع، ص ٧٣.

(٥) د. عبد الغني عبود، الملاحم العامة للمجتمع الإسلامي، سلسلة الإسلام وتحديات العصر، الكتاب التاسع،

ط ١، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٩ م)، ص ٩٢.

وإذا كان الشقاق بين الأصدقاء يترتب عليه شروع الغيبة والنميمة والتشاحن والبياغض، بل وقد يصل الأمر إلى التشاجر والافتتال، فقد أوضح رسول الله ﷺ السبيل إلى ذهاب الغل والشحناء بقوله: "تصالحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء."^(١)

وقال ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولا أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق."^(٢)

ودعا ﷺ إلى قبول الاعتذار فقال: "من اعتذر إلى أخيه بعمدرة، فلم يقلها، كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس."^(٣)

فعلى السابق أن يغفر زلات صديقه متى اعتذر عنها حتى يعود الوفاق ويذهب الغسل والحمد.

سادساً: التعاون على فعل الخير والبعد عما حرم الله:

يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] .

وقد جاء في تفسر هذه الآية ما يلي: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتعاون على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وببهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم، قال ابن جرير الإثم ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان مجاوزة ما حذر الله في دينكم، ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم."^(٤)

وأمر الله عباده بالمؤمنين بالتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان يشمل المؤمن جميعاً، وبالتالي فالرفاق والأصدقاء من المؤمنين مأمورون بالتعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات.

وقد روي عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث تحض على التعاون، ومساندة المسلم لأخيه المسلم، ومن ذلك ما يلي:

(١) الإمام مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الكتاب المصري، ب ت، ص ٩٠٨.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٧٨.

(٣) الإمام ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ١٢٢٥.

(٤) الإمام ابن كثير، تفسر القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص ٦.

• قال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً".^(١)

• قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".^(٢)

وتعاون الأصدقاء على الإثم والعدوان يؤدي إلى ظهور الجريمة المنظمة، التي تعتمد على اتفاق مجموعة من الأفراد على ارتكاب الجرائم، والتخطيط لها تحظيماً دقيقاً، ومن صور هذه الجرائم جريمة الحراية والبعي، واختطاف الطائرات، ومافيا المخدرات، وشبكات الدعارة، والقرصنة البحرية... إلخ. لذلك دعا الإسلام الأصدقاء إلى التعاون على البر والتقوى حتى لا تظهر مثل هذه الجرائم في المجتمع.

• الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:^(٣)

ذكر الإمام الغزالي عدة صفات تُعد شروطاً لاختيار صاحب، ينقلها الباحث بنصها لما فيها من روعة الأسلوب وجزالة الألفاظ وذلك على النحو التالي:

١- العقل:

"أما العقل فهو رأس المال، وهو الأصل. فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت...، كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري...، ولذلك قيل مقاطعة الأحمق قربانٌ إلى الله. وقال الثوري، النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكسبة، ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه، إما بنفسه وإما إذا فهم".

٢- حسن الخلق:

"وأما حسن الخلق فلا بد منه. إذ رُبَّ عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه، ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة، أو بخل أو جبن، أطاع هواه، وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته، وتقويم أخلاقه. فلا خير في صحبه...، وقد جمع "علقمة العطاردي" حسن الخلق في وصية لابنه حين حضرته الوفاة. قال: يا بني، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدعت صانك، وإن صحبه زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك. اصحب من

(١) الإمام/ مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، المجلد السادس، الجزء (١٦)، ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) الإمام/ الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، المجلد الثاني، الجزء الخامس، ص ١٦٣: ١٦٨.

إذا مددت يدك بخيرٍ سدها، وإن رأى منك حسنةً عدها، وإن رأى سيئةً سدها. اصحب من إذا سأله أعطاك، وإن سكت ابتدأك، وإن تولت بك نازلةً واساك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولنا أمراً أمرك، وإن تنازعنا آثرك. لكأنما جمع هذا جميع حقوق الصحة".

٣- ألا يكون فاسقاً:

"وأما الفاسق المصّر على الفسق، فلا فائدة في صحته، لأنه من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصدقاته، بل يتغير بتغير الأغراض....، ومشاهدة الفسق والفساق قون أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها. قال "معد بن السب": لا تنظروا إلى الظلمة لتحبط أعمالكم الصالحة. بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم، وإنما السلامة في الانقطاع عنهم".

٤- ألا يكون مبتدعاً:

"وأما المبتدع ففي صحته خطر صراية البدعة، وتعدّي شؤمها إليه. فالمبتدع مستحقٌ للهجر والمقاطعة، فكيف تؤثر صحته! وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق، فيما رواه سعد بن السب قال: عليك ياخوان الصديق تعش في أكافهم، فساقم زيتة في الرخاء، وعدة في البلاء. رضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر لتسلم من فجوره، ولا تطلعه على شرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى".

٥- ألا يكون حريصاً على الدنيا:

"أما الحريص على الدنيا لصحته سمّ قاتل. لأن الطباع مجبولة على التنبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تهد في الدنيا. فلذلك تُكره صحبة طلاب الدنيا، ويُستحب صحبة الراغبين في الآخرة....، وقال لقمان يابني جالس العلماء وزاجهم بركبتك، فإن القلوب لتجأ بالحكمة كما تجأ الأرض الميتة بوابل المطر".

وإذا توفرت هذه الصفات في رجل، فليس من المعقول أن يدعو هذا الرجل إلى جريمةٍ أو اغتواف سلوكي بل لا بد وأن يكون عوناً لمن يصاحب على طاعة الله، والبعد عما حرم الله تعالى.

وأخيراً يمكن القول إنه إذا كان الهدف هو:

قيام جماعة الرفاق بدورٍ إسلامي في مجال الوقاية من الجريمة.

فإن السبيل إلى تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع هو الاعتماد على الوسائل الإسلامية الآتية

- ١) البعد عن رفاق السوء، ومصاحبة الصالحين.
- ٢) أن يكون الحب بين الصديقين حباً في الله.
- ٣) ألا تكون معرفة الصديق لصديقه معرفةً سطحيةً.
- ٤) قيام الصداقة على النصيحة.
- ٥) النهي عن الهجر والخصام.
- ٦) التعارون على فعل الخير والبعد عما حرم الله.